

تلخيص كتاب
منهاج أهل السنة والجماعة في التعامل
مع الفتن العامة
عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي
شبكة
الألوكة
www.alukah.net

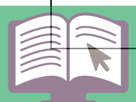
تلخيص كتاب:

منهاج أهل السنة والجماعة في التعامل مع الفتن العامة

تأليف

د. عبد الله بن عمر الدميجي

جامعة أم القرى ـ مكة المكرمة



مُقَدِّمَة

الحمد لله الذي لا عاصم من الفتن إلا هو، ولا معافي من البلاء إلا هو، أحمده سبحانه حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما يحب ربنا ويرضاه، وأسأله سبحانه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجنبنا سوء الفتن ما ظهر منها وما بطن ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الممتحنة: ٥]، ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [يونس: ٨٥-٨٦].

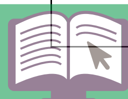
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وصفيُّه من خلقه وخليله، ما من خير إلا دلّ أمته عليه، وما من شرّ إلا حذّر أمته منه، ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣]، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، ومن سار على نهجه واقتفى أثره إلى يوم الدين.

أما بعد: فإن المتأمل نصوص الكتاب والسنة يجد كمًّا هائلًا من النصوص الواردة في الفتن وأنواعها، وأخطارها، والتحذير منها، وسبل النجاة منها والتعامل معها. كما يجد ذلك ظاهرًا في عناية المسلمين بهذه النصوص وتدوينها وشرحها وتعليمها.

كما أن المتأمل في واقع المسلمين اليوم يرى كمًّا هائلًا ـ أيضًا ـ من الفتن العامّة والخاصّة التي يرقق بعضها بعضًا، ويصدق عليها ما ذكره النبي ﷺ من أوصافها وأنواعها التي تكون في آخر الزمان الذي نعيشه، فعصرنا وما فيه من الفتن هو عَلَم من أعلام نبوته ﷺ، فقد أصبحنا نرى ونشاهد ما كنا نقرؤه مما أخبر عنه ﷺ من الفتن.

وفي هذه الفتن قد اختلطت فتن الشهوات بفتن الشبهات، وتعاضدت، وقد ساعد على انتشارها وفشوها قلّة العلم النافع وفشو الجهل، مع ثورة المعلومات وتقنية الاتصالات والفضائيات وكثرة المال، وانفتاح أبواب كل شيء ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ [الأنعام:٤٤].

ترتب على ذلك تحولات كبيرة، ومتغيرات متسارعة، ومستجدات متتابعة، ومن أخطرها ما يشهده العالم على صعيد الفِرق والمذاهب والتيارات المعاصرة، فقد ظهرت فِرق قديمة قد هلكت، وبرزت تيارات جديدة، وظهرت أفكار قديمة وحديثة، أسهمت عوامل متعددة في تلقف بعض أبناء المسلمين لها، وتهافتهم في الانضواء تحت راية من راياتها.

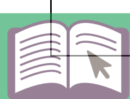


كما أن من أبرز مظاهر الفتن المعاصرة انتشار البدع والشركيات والمجاهرة بها والدعوة إليها والقتال في سبيلها وإثارة الشبهات الـمُزَيِّنَة لها، والطعن في ثوابت الدين ومحكماته، وتبني بعض المتسببين للعلم طروحات التغريبيين وأفكارهم، وتسويغ انحرافاتهم ومخالفاتهم وإلباسها لبوس الدين والإصلاح، والانقلاب على المنهج السلفي والطعن في رموزه وثوابته باسم التجديد والتنوير والإصلاح﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِۚ﴾ [البقرة: ٢٢٠]، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ ١١ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ﴾ [البقرة:١١-١٢].

كما أن من أهم هذه المظاهر وأخطرها ما يواجهه المسلمون اليوم من البأس الذي لا يرفعه الله إلى يوم القيامة، وهو اقتتال أهل القبلة وإراقة دماء المسلمين بأيدي المسلمين، وهو ثمرة من ثمار تنازعهم واختلافهم في الدين بين غلو وإفراط، وبين تساهل وتفريط، أدى بهم ذلك إلى أن ﴿فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ﴾[الروم: ٣٢]، فتكلَّم إثر ذلك الرُّوَيبضة، وترأَّس الجهلة، وتجرّأ المبتدعة وأهل الأهواء، وتطاول الفسقة، وظهر سوق النِّفاق فصار له نَفَاق، وأصبح اليوم يحارب الدين وأهله باسم الدين، ويقتل المسلمون بأيدي المسلمين - بأوامر وتوجيهات وتخطيطات غير المسلمين - ويُعَاث في الأرض فسادًا باسم الإصلاح، فأصبح المصلح مفسدًا والمفسد مصلحًا، وقد استغل كل ذلك العدو المتربص لتحقيق أهدافه، فحصَّل كثيرًا من مقصوده ووصل إلى أمور مهمة لم يكن يَحْلُم أن يصل إليها.

وحسبك لترى ما المسلمون فيه من فتنة أن تجول بناظريك على خارطة العالم الإسلامي أو تقلب طرفك في شاشات وصحائف الإعلام اليوم، فلا ترى إلا دماء المسلمين المهدرة، وأشلاءهم الممزقة في كل ناحية وصوب.

ومما لا شك فيه أن المسؤول الأول عن هذا الواقع المؤلم للمسلمين هم المسلمون أنفسهم، بتقصيرهم وتفريطهم وبُعدهم عن دين ربهم، والعمل بكتابه وسنة نبيه ﷺ ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ﴾ [آل عمران: ١٦٥]، ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾ [الشورى: ٣٠]، وقال سبحانه: ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١]، فهل نَعِي هذا التوجيه الرباني ﴿لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾!



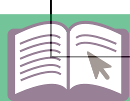
كما أن من المقطوع به يقينًا أن الله تعالى ناصر دينه وأوليائه مهما تكالبت عليهم المحن والإحن، وادلهمت عليهم الخطوب والفتن، فقد وعدهم الله تعالى ـ ووعده الحق ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ٩]، ﴿وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا﴾ [النساء: ١٢٢] ـ بقوله عز وجل: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ﴾ [غافر: ٥١]، ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٦]، ﴿فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [هود: ٤٩]، ﴿وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ﴾ [طه: ١٣٢]، ﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ﴾ [آل عمران: ١٢٠]، ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣].

ومع موعود الله تعالى بنصر أوليائه، فقد توعد بخذلان وذل أعدائه مهما تطاولوا وبغوا ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡأَذَلِّينَ ٢٠ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ﴾ [المجادلة: ٢٠- ٢١]، ﴿وَلَوۡ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوَلَّوُاْ ٱلۡأَدۡبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ٢٢ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا﴾ [الفتح: ٢٢- ٢٣]، فهذا خطاب إلهي للمؤمنين القائمين بحقائق الإيمان ظاهرًا وباطنًا، ووعد رباني لا يُخلف أبدًا.

أما المنافقون المتطاولون فلهم بشارة خاصة ﴿بَشِّرِ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ١٣٨ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَيَبۡتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلۡعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا﴾ [النساء: ١٣٨- ١٣٩].

ومن سنن الله الكونية وحكمه الإلهية أن جعل الأيام بين الناس دُوَلاً، فقد يجعل للباطل أحيانًا صولة، وللنفاق جولة، وللكفر انتفاشة، ولكنها قصيرة ومحدودة ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ١٩٦ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ ثُمَّ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ﴾ [آل عمران: ١٩٦- ١٩٧].

وقد ذكر الله تعالى لنا في محكم تنزيله بعض هذه الحكم في إدالة عدوه على أفضل أوليائه من المهاجرين ـ بما فيهم رسوله الكريم ﷺ ـ والأنصار يوم أحد، مع أنهم أكرم من كان على وجه الأرض من الخلق، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٣٩ إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٤٠ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمۡحَقَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٤١ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن



تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩- ١٤٢].

فذكر الله سبحانه أنواعًا من الحِكم التي لأجلها أديل عليهم الكفار بعد أن ثبتهم وقوَّاهم وبشَّرهم بأنهم الأعلَوْن بما أعطوا من الإيمان، نعم: يقول الله تعالى لهم: أنتم الأعلون بإيمانكم وإن كان ظاهركم الانكسار والهزيمة، وهم الأَدْنَوْن بكفرهم وطغيانهم وإن كان ظاهرهم الانتصار.

ثم سلَّاهم تعالى بأنهم وإن مسَّهم القرح في طاعته وطاعة رسوله ـ وهي الجراح والآلام ـ فقد مَسَّ أعداءهم القرح في عداوته وعداوة رسوله.

ثم أخبرهم أنه سبحانه بحكمته بجعل الأيام دُوَلًا بين الناس، فيصيب كلًا منهم نصيبه منها؛ كالأرزاق والآجال.

ثم أخبرهم أنه فعل ذلك ليعلم المؤمن منهم، وهو سبحانه بكل شيء عليم قبل كونه وبعد كونه، ولكنه أراد أن يَعْلمهم موجودين مشاهَدين، فيعلم إيمانهم واقعًا بعد أن علمه قدرًا وأزلًا.

ثم أخبر أنه أحبَّ أن يتخذ منهم شهداء، فإن الشهادة درجة عالية عنده، ومنزلة رفيعة لا تُنال ـ ذروتها ـ إلا بالقتل في سبيله، فلولا إدالة العدو لم تحصل الشهادة التي هي أحب الأشياء إليه، وأنفعها للعبد.

ثم أخبر سبحانه أنه يريد تمحيص المؤمنين، أي تخليصهم من ذنوبهم بالتوبة والرجوع إليه، واستغفاره من الذنوب التي أديل بها عليهم العدو.

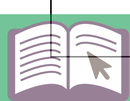
ثم أخبر ـ مع ذلك ـ أنه يريد أن يمحق الكافرين ببغيهم وطغيانهم وعدوانهم إذا انتصروا.

ثم أنكر عليهم حسبانهم وظنهم دخول الجنة بغير جهاد ولا صبر، فإن حكمته تأبى ذلك، فلا يدخلونها إلا بالجهاد والصبر، ولو كانوا دائمًا منصورين غالبين لما جاهدهم أحد، ولما ابتلوا بما يصبرون عليه من أذى أعدائهم.

فهذه بعض حِكَمه في نصرة عدوهم عليهم، وإدالته في بعض الأحيان. مع أنهم خيرة الله مِن خلقه.

فلعل في هذا ما يقوي قلوب المنهزمين الظانين بالله غير الحق ظن الجاهلية، الذين يبكون على الإسلام والسنة وأهلها، ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١].

ومع ذلك فإنا لنرجو أن تكون هذه الفتن التي أصابت المسلمين اليوم منبهة للأمة من غفلتها، ومُوقظة لها من رقدتها، ومُخلِّصة لها من ذنوبها، ومُهذِّبة لها من أدرانها، وممحِّصة لها ولصفوفها ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجۡعَلَ ٱلۡخَبِيثَ بَعۡضَهُۥ عَلَىٰ بَعۡضٖ فَيَرۡكُمَهُۥ جَمِيعٗا فَيَجۡعَلَهُۥ فِي

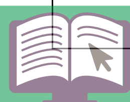




جَهَنَّمَ ﴾ [الأنفال: ٣٧].

فالأمة ما زالت بخير، وفيها خير كثير، بل الخير فيها باق إلى قيام الساعة كما أخبر ﷺ.

فلعل هذه الفتن والمحن مقدمات لرفعة شأن الأمة لتعود إلى دين ربها لتكون مؤهلة للانتصار والقيادة والتمكين، وإلا فإنها كما قال العقاد«كثيرًا ما يكون الباطل أهلًا للهزيمة، لكنه لا يجد من هو أهل للانتصار عليه».



الفَصْلُ الأَوَّلُ

معنى الفتنة، وأنواعها، وخطرها، وأسبابها

المبحث الأول
معنى الفتنـــــــة

* أولاً: معنى الفتنة في اللغة والاصطلاح:

قال ابن فارس: «الفاء والتاء والنون أصل صحيح يدل على الابتلاء والاختبار، تقول: فتنت الذهب إذا أدخلته النار لتنظر ما جودته، وهذا مفتون وفتين، ويسمى الصائغ: الفتَّان؛ لإذابته الذهب والفضة في النار...».

كما تُطلق الفتنة في لغة العرب على عدة معان أُخر، كالمحنة والمال والأولاد والكفر، وتُطلق على اختلاف الناس في الآراء، وعلى الإحراق بالنار، كما تطلق على الإمالة عن القصد، والفتنة معناها: الميلة عن الحق.

وقد عرَّفها الجرجاني بقوله: «هي ما يُبيَّن به حال الإنسان من الخير والشر».

والفرق بين الفتنة والابتلاء: أن الابتلاء أحد معاني الفتنة، فالفتنة تكون بالابتلاء وغيره، فهي أعمُّ.

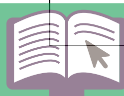
* ثانيًا: معاني الفتنة في القرآن:

ذُكرت مادة (فتن) ومشتقاتها في القرآن الكريم في ثمانية وخمسين موضعًا، وأُطلقت على حوالي خمسة عشر معنى أو تزيد، من أهمها:

١ -الابتلاء والامتحان.

٢ -الصد عن السبيل، قال تعالى: ﴿وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ﴾ [المائدة: ٤٩].

٣ -العذاب، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ﴾ [البروج: ١٠]. قال ابن عباس: «أي: حرَّقوا».





٤ - الشرك، قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ﴾ [البقرة: ١٩٣].

٥ - الوقوع في النفاق والمعاصي، كما قال تعالى في حق المنافقين: ﴿وَلَٰكِنَّكُمۡ فَتَنتُمۡ أَنفُسَكُمۡ وَتَرَبَّصۡتُمۡ وَٱرۡتَبۡتُمۡ﴾ [الحديد:١٤]

٦ - التشكيك والتلبيس، كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۗ﴾ [آل عمران:٧].

٧ - الشبهة في الحق والباطل، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ﴾ [الأنفال: ٧٣].

٨ - الإضلال والإغواء، كما في قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ [الأعراف: ٢٧].

٩ - الكفر بعد الإسلام ـ والعياذ بالله ـ قال تعالى: ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

١٠ - المعذرة والاعتذار بالشيء، قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَمۡ تَكُن فِتۡنَتُهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣].

المبحث الثاني
التحذير من الفتن في القرآن والسنة

تنوعت أساليب القرآن الكريم والسنة النبوية في التحذير من الفتن لإحياء القلوب وإيقاظ النفوس، ذكرى للمؤمنين وتنبيهًا للغافلين وحجة على المعاندين، ومن هذه الأساليب:

*** أولا: التحذيرات في القرآن الكريم:**

١ ـ التحذير الصريح من الفتنة، والأمر باتقائها، والنهي عن الوقوع فيها:

قال تعالى: ﴿ وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَ ﴾ [المائدة: ٤٩]، وقد نزلت هذه الآيات في اليهود الذين جاءوا للتحاكم إلى النبي ﷺ.

كما جاء التحذير الرباني للمنافقين أن تصيبهم فتنة جرَّاء مخالفتهم أمره ﷺ، قال الله تعالى: ﴿ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور: ٦٣]، وهذا الوعيد لكل من خالف أمر الله ورسوله ﷺ.

٢ ـ ومن هذه الأساليب التحذيرية: التبكيت والتقريع لمن تسبب في الوقوع في الفتنة:

ومن ذلك ما ذكره الله تعالى عن المنافقين المتخلفين عن الجهاد حذر الفتنة ـ زعموا ـ وهم قد وقعوا فيها، قال تعالى: ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ ٱئۡذَن لِّي وَلَا تَفۡتِنِّيٓۚ أَلَا فِي ٱلۡفِتۡنَةِ سَقَطُواْۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [التوبة: ٤٩].

٣ ـ التوبيخ والتعجب ممن لا يعتبرون بالفتن ويستبعدون وقوعها.

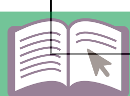
ومن ذلك ورود الاستفهام على سبيل التوبيخ للمنافقين بإعراضهم عن الاعتبار بما يحدث في حقهم من الأمور الموجبة للتذكر والاعتبار فقال تعالى: ﴿ أَوَلَا يَرَوۡنَ أَنَّهُمۡ يُفۡتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوۡ مَرَّتَيۡنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٦].

*** ثانيًا: التحذيرات في السنة:**

أما التحذيرات في السنة النبوية فكثيرة؛ ومنها:

١ ـ الإخبار عنها مع التحذير منها، واجتنابها، والثبات على الحق.

ما ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «**إنه لم يكن نبي قبلي، إلا كان حقًا عليه أن يدل أمته على خير ما**



يعلمه لهم، وينذرهم شرّ ما يعلمه لهم، وإن أمتكم هذه، جعل عافيتها في أولها، وسيصيب آخرها بلاء وأمور تنكرونها، وتجيء فتنة فيرقق بعضها بعضًا، وتجيء الفتنة فيقول المؤمن: هذه مهلكتي، ثم تنكشف، وتجيء الفتنة فيقول: هذه هذه. فمن أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة، فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر..»مسلم.

٢ ـ ومنها: الدعاء والتعوذ من مضلات الفتن الظاهرة والباطنة، كما في حديث أبي هريرة ـ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع، يقول: اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر فتنة المسيح الدجال**»مسلم.

وقد كان النبي ﷺ يتعوذ بالله كثيرًا من الفتن، كما أمره ربه تبارك وتعالى، فعن ابن عباس ـ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**أتاني الليلة ربي تبارك وتعالى في أحسن صورة...**» فذكر الحديث، وفيه قوله تعالى: «**يا محمد، إذا صليت فقل: اللهم إني أسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب المساكين، وأن تغفر لي وترحمني وتتوب علي، وإن أردت بعبادك فتنة فاقبضني إليك غير مفتون**»الترمذي.

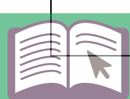
وكذلك كان الأنبياء قبله ﷺ، كانوا يسألون الله تعالى ألا يكونوا فتنة لغيرهم وسببًا لها، فهذا أبوه إبراهيم الخليل ـ عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم ـ كان من دعائه: ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ۝٤ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الممتحنة: ٤-٥].

وهذا أخوه موسى الكليم عليهما الصلاة والسلام كان من دعائه هو وأتباعه: ﴿عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٨٥ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [يونس: ٨٥-٨٦].

وأمر عليه الصلاة والسلام أمته بالتعوذ بالله من الفتن، فقال: «**تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن**». وقد عقد البخاري بابًا بعنوان: «التعوذ من الفتن»

بل كان النبي ﷺ، يسأل الله الشوق إلى لقائه، من غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة. النسائي

٣ ـ الإخبار عما سيقع منها بين الصحابة ـ رضوان الله تعالى عليهم ـ فقد ورد في حديث أسامة بن زيد ـ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا ـ قال: أشرف النبي ﷺ على أطم فقال: «**هل ترون ما أرى؟**» قالوا: لا. قال: «**فإني لأرى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر**»مسلم.



المبحث الثالث

خطر الفتن على القلوب

والفتن أكبر ما تكون خطرًا على القلوب، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة:٣٣]، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «فبالهدى يعرف الحق، وبدين الحق يقصد الخير ويعرف به، والفتن تمنع معرفة الحق، وتمنع قصد الخير وإرادته، لأنها تلبس الحق بالباطل».

وجاء في حديث حذيفة: «**تُعرض الفتن على القلوب كالحصير؛ عودًا عودًا، فأيما قلب أُشْرِبَها نُكِت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء، حتى تصير على قلبين: على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض، والآخر أسود مُرْبَادًّا، كالكُوز مُـجَخِّيًا، لا يعرف معروفًا، ولا ينكر منكرًا إلا ما أُشرب من هواه**»مسلم.

فبالفتن يصيب القلب آفتان: اسوداد القلب، وانتكاسه.

ويتولد عن ذلك مرضان: لا يعرف معروفًا، ولا ينكر منكرًا، وقد يتمادى به المرض، فيكون المعروف عنده منكرًا والمنكر معروفًا ـ والعياذ بالله.

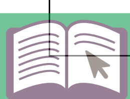
المبحث الرابع

أنـــــواع الفـــــتن

نظرًا لتعدد معاني الفتنة فقد تعددت أنواعها ـ كما تقدم ـ فهناك إضافة إلى ما تقدم فتن السراء وفتن الضراء، وفتن ما قبل الموت وفتن ما بعده، وفتن ما بين يدي الساعة، وغيرها، ويمكن تقسيم الفتن باعتبار محلها ومَن تقع عليه إلى نوعين:

الأول: الفتن الخاصة: وهي كما قال ﷺ: «فتنة الرجل في أهله وماله وولده وجاره. وهذه ليست مجال بحثنا هنا.

الثاني: الفتن العامة التي تعم الصالح والطالح، الذكر والأنثى، الكبير والصغير، وهي التي ذكرها الله تبارك وتعالى بقوله: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ﴾ [الأنفال: ٢٥]،



وجاء وصفها في أحاديث النبي ﷺ، بأن منها التي تموج كموج البحار، ومنها كقطع الليل المظلم، والتي تأتي كالظل.

وهذه لها صور كثيرة، ومن أخطرها فتنة التفرق والاختلاف والاقتتال بين المسلمين، وهي التي سأل النبي ﷺ ربَّه فمنعه إياها، فقال ﷺ: «**سألت ربي ثلاثًا فأعطاني ثنتين، ومنعني واحدة، سألت ربي ألا يهلك أمتي بالسنة فأعطانيها، وسألته ألا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها، وسألته ألا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها**»[مسلم]، وهي التي قال الله تعالى فيها: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ﴾ [الأنعام: ٦٥]، وهذه ملازمة للأمة منذ صدرها الأول إلى أن يقاتل آخرها الدجال مع المسيح ابن مريم ـ عليه السلام ـ عند قرب قيام الساعة.

وعن حذيفة ـ رضي الله عنه ـ قال: «كنا جلوسًا عند عمر رضي الله عنه فقال: أيكم يحفظ قول رسول الله ﷺ في الفتنة؟ قلت: أنا، كما قاله. قال: إنك عليه ـ أو عليها ـ لجرئ. قلت: فتنة الرجل في أهله وماله وولده وجاره تكفرها الصلاة والصوم والصدقة والأمر والنهي. قال: ليس هذا أريد، ولكن الفتنة التي تموج كما يموج البحر؟ قال: ليس عليك منها من بأس يا أمير المؤمنين، إن بينك وبينها بابًا مغلقًا. قال: أيكسر الباب أم يفتح؟ قال: يكسر. قال: إذًا لا يغلق أبدًا. قلنا: أكان عمر يعلم الباب؟ قال: نعم، كما أن دون الغد الليلة، إني حدثته بحديث ليس بالأغاليط. فَهِبْنَا أن نسأل حذيفة، فأمَرْنا مسروقًا فسأله، فقال: الباب عمر»[بخاري ومسلم]. وهذا الحديث أصل في أبواب الفتن.

وهناك فتن أخرى كثيرة من أهمها:

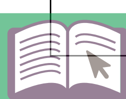
-فتن البدع والخرافات والشركيات المستشرية بين المسلمين وفي كثير من أوطانهم.

- فتن تسلط الأعداء على الأمة وحربهم الضروس للإسلام وأهله ونهب أموالهم وبلادهم وممتلكاتهم ومدخراتهم.

- فتنة الذل الذي أصاب المسلمين بسبب تركهم الجهاد.

- فتنة التغريب، والانبهار بالمدنية الغربية والافتتان باللبرالية والعولمة والديمقراطية، والدعوة إلى عصرنة الإسلام وتطويعه لرغبات الغرب أو الشرق.

-فتن الاختلاف والتناحر والاقتتال بين المسلمين على الزعامات أو السلطة، وحب الترؤس أو حظوظ الدنيا.





-وفتن التكفير والتبديع والتفسيق بغير حق.

- وفتن الفتاوى المضلة والانحرافات العقدية والفكرية والمذاهب الهدامة.

- فتنة قلب الحقائق وتلبيس الحق بالباطل والتلاعب بالمصطلحات، والتي تولى كِبرها وسائل الإعلام وكتَّابها.

- فتن الشبهات والشهوات التي تدعو لها القنوات الفضائية والمجلات والصحف والإعلانات، والشبكة العنكبوتية.

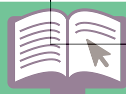
-فتن المخدرات والمسكرات وانتشارها بين المسلمين وما يترتب عليها من مصائب في الأُسر والمجتمعات.

- فتنة المرأة والدعوة إلى (تحررها ـ زعموا ـ).

- فتنة السياحة والسفر إلى بلاد الكفر، والابتعاث غير المنضبط، وتمجيد الكفار وأهل الخلاعة والمجون.

-فتنة الكرة والرياضة والفن وغيرها.

-فتنة المال وفشو الربا وصور التحايل عليه، وفتنة الزنا، وسائر أنواع الفواحش.. وتساهل الناس في ذلك، وقد قال ﷺ: «**لم تظهر الفاحشة في قوم قط، حتى يعلنوا بها، إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع، التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا**»ابن ماجه والحاكم.



المبحث الخامس

أسبـــــاب الفــــتن

أما عن أسباب الفتن ـ أعاذنا الله جميعًا منها ـ فمن أهمها وأعظمها، وهو السبب الكلي الجامع لكل الأسباب الجزئية: البُعْد عن الاستقامة على دين الله عقيدة وشريعة وأخلاقًا. قال تعالى:﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور: ٦٣]، فدلت الآية صراحة على أن المخالف لأمر الله متوعَّد بفتنة أو عذاب أليم.

كما جعل الله تعالى ترك الجهاد في سبيله من أكبر أسباب الفتن العامة، وهي وقوع العداوة والبغضاء بين المسلمين حتى يقع بينهم الاقتتال وسفك الدماء. قال الله تعالى: ﴿ إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ﴾ [التوبة: ٣٩].

وذكر النبي ﷺ صورة أخرى من الصور الجزئية المتعلقة بأحكام الأسرة والنكاح فقال ﷺ: «**إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخُلقه فزوجوه** ». وقال بعد ذلك: «**إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد عريض**»[الترمذي وحسنه].

هذا: بالإضافة إلى الآيات الكثيرة الدالة: على أن ما يصيب المسلمين من مصائب، ومنها الفتن ـ بل هي من أعظمها ـ إنما هو بسبب الذنوب والمعاصي والتقصير، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴾ [الشورى: ٣٠].

وأهم أسباب البعد عن الاستقامة على دين الله تعالى المُوقع في الفتنة لا يخرج عادة عن أحد أمرين أو كليهما، وهما:

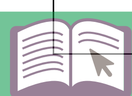
١ ـ فساد في العلم. ومرد ذلك إلى الجهل بدين الله تعالى.

٢ ـ أو فساد في القصد، ومرد ذلك إلى الهوى.

والدافع إلى ذلك لا يخرج عادة عن أحد أمرين:

١ ـ إما بسبب شبهة.

٢ ـ وقد يكون ذلك بسبب الشهوة.



المبحث السادس

علامة مَن وقع في الفتنة

من أبرز هذه العلامات:

١ ـ أن يرى ما كان حرامًا بالأمس حلالًا اليوم أو العكس.

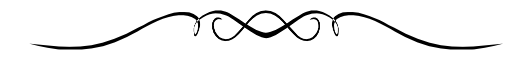
٢ ـ التلوّن في دين الله: ولذلك ورد من حديث سهل بن سعد ـ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ـ يرفعه إلى النبي ﷺ قال: «**إياك والتلوّن في دين الله**»[الطبراني بإسناد حسن]. وقال حذيفة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «إن الضلالة أن تعرف ما كنت تنكر، وتنكر ما كنت تعرف، وإياك والتلون في الدين»[مصنف عبدالرزاق].

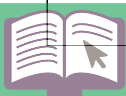
٣ ـ اتباع المتشابه وعدم ردِّه إلى المحكم:

٤ ـ التسويغ للباطل والتعذير له. ومدح أهله والإشادة بهم والتقرب إليهم وتكلف المعاذير لهم في مخالفاتهم والتهوين من شأنها.

في مقابل الطعن في الحق وأهله، والنفرة منهم، وتتبع زلاتهم وتضخيمها والفرح بها ونشرها، واللهج بذكرها.

=





الفَصْلُ الثّانِي

سُبل النجاة والوقاية من الفتن قبل وقوعها

وبعد بيان خطر هذه الفتن، وتحذير الله تعالى ورسوله ﷺ منها، وبيان أهم أسبابها؛ يتبادر إلى الذهن سؤال ـ بعد ذلك ـ وهو: ما هي سُبل النجاة والوقاية منها قبل وقوعها؟

والإجابة على هذا السؤال تكون في المباحث التالية:

* **المبحث الأول: الاعتصام بالكتاب والسنة ظاهرًا وباطنًا:**

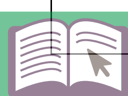
فأكبر وسيلة للوقاية من كل الدنيوية والأخروية هي الاعتصام التام بالكتاب والسنة بحيث يكون بعيدًا عن الأهواء والبدع والمخالفات، متقيدًا في ذلك بالكتاب والسنة، يدور معهما حيث دارا، ولا يحيد عنهما قِيد أَنْمُلة، وافق ذلك هواه أو أهواء الآخرين، أو لم يوافقه، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

وقد تواترت نصوص الكتاب والسنة وأقوال السلف في التنبيه على هذا الأمر العظيم، وأن التمسك بهما هو السبب الرئيس للنجاة من الفتن كلها.

قال الله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران: ١٠٣] وقد تضمنت الأمر بالاتباع والنهي عن الافتراق، فوصفت الداء والدواء، فالداء الفرقة، ودواؤه الاعتصام بالكتاب والسنة.

وقريب من معنى هذه الآية وفيه التحذير من الفتنة صراحة ـ كما تقدم ـ قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٢٤- ٢٥].

وقد جاءت الأحاديث النبوية الصريحة التي تبين أن العصمة من الفتن والضلال هي في الاستمساك بالكتاب والسنة.





قال ﷺ: «**تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به؛ كتاب الله**»مسلم.

* **المبحث الثاني:** التفقه في الدين:

واعتصام المؤمن بالكتاب والسنة يقتضي منه التفقه فيهما، والاجتهاد في أن يكون أهلًا للخيرية الموعودة من الله تعالى، قال ﷺ: «**من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين**»البخاري ومسلم، ويتأكد هذا الأمر في أيام الفتن؛ لأن من أكبر أسبابها فُشُوًّا الجهل ونقصَ العلم، وارتباط ذلك بظهور الفتن ارتباط وثيق، قال ﷺ: «**يتقارب الزمان، وينقص العمل، ويُلْقَى الشُّحُّ، ويكثر الـهَرْجُ**» قالوا: وما الـهَرْجُ؟ قال: «**القتل، القتل**»البخاري ومسلم. وقال ﷺ: «**إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم، ويظهر الجهل**»البخاري ومسلم.

والفتن عادة لا تخرج ـ كما تقدم ـ عن واحدة من هذه المسببات.

١ ـ فتن الشبهات، والشبهات هي منبع الغوايات، وسبب الضلالات، وهذه لا تكشف إلا بالعلم.

٢ ـ وفتن الشهوات، وهذه لا تكشف إلا بالعلم أيضًا، يعرف الإنسان ربه فيستحي منه، ويعرف حكم الشرع في ذلك فيرتدع، ويعرف مصير المعاند فيمتنع.

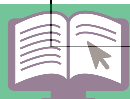
ومن آثار الشبهات:الوقوع في عذاب الشكِّ والحيرة والاضطراب وهذه لا تكشف أيضًا إلا بالعلم؛ لأنه هو الذي يرسخ اليقين في القلوب، ويقطع دابر الشكوك والأوهام والشبهات.

* **المبحث الثالث: إقامة شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله:**

وهذه واجبة على المسلمين في كل زمان ومكان، ولكنها في زمن الفتن آكد، والحاجة إليها أشد، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، وقال ﷺ: «**من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**»مسلم.

* **المبحث الرابع: السعي إلى إزالة أسبابها قبل استفحالها، والاجتهاد في الإصلاح فيها وتقليل أثارها عند وقوعها:**

وقد أمر الله تعالى باتقاء الفتنة، وذلك بأن يتخذ المسلمون وقاية بينهم وبين الفتن؛ وذلك بمنع



أسبابها، قال تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ ﴾ [الأنفال: ٢٥].

ومن الأمثلة التطبيقية لِوَأْد الفتنة في مهدها، والقضاء عليها قبل استفحالها؛ بإزالة أسبابها: ما فعله النبي ﷺ من هدم وإزالة مسجد الضرار الذي بناه المنافقون، وإن كان الأمر فيما يظهر هدمًا لبيت من بيوت الله، لكنه سَدٌّ لذريعة الفتنة، ووأد لها في مهدها وقبل استفحالها، وفقه لمقاصد وأغراض المنافقين وأمثالهم، التي هي في ظاهرها خير وصلاح، وفي باطنها السم الزعاف، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ١٠٧ لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗاۚ لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٞ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ ﴾ [التوبة: ١٠٧- ١٠٨].

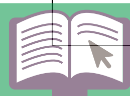
*** المبحث الخامس: الحذر من كيد الأعداء المتربصين من الداخل والخارج المثيرين الفتن، والمنتهزين لها لتحقيق أطماعهم:**

قَدَّر الله تعالى سنة المدافعة بين الحق والباطل طيلة عمر البشرية، بدءًا بالصراع الذي قدَّره الله تعالى بين أبينا آدم عليه السلام وعدونا إبليس اللعين قبل النزول إلى الأرض، ثم استمر، وسيبقى هذا الصراع إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وأمتنا الإسلامية ليست بدعًا من الأمم، بل كان لها من الكيد والحسد والعداوة من أعدائها .

وفي هذا المقام يجب علينا، ألا يغيب عنا وعد الحق تبارك وتعالى، المؤكد المذكور في الآية نفسها، ووعده الحق، وكان وعد الله مفعولاً، قال تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ ﴾ [الحج:٤٠]. فنصر الله آت لا محالة، بشرط أن نقوم بنصره تعالى، وهو الغني عنا عز وجل، ولذلك ختم الآية بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

والفتن ـ أعاذنا الله منها ـ هي من أكبر أسلحة الأعداء الفتاكة للنيل من هذه الأمة ودينها وعزتها وكرامتها، ولذلك كان الأعداء المتربصون هم أول من استعمل هذا السلاح بإثارتها، وغرس بذورها أو استغلالها واستثمارها بدءًا بسيدهم إبليس اللعين الذي حذرنا الله فتنته بقوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ ﴾ [الأعراف: ٢٧].



ولتحقيق ذلك اجتهدوا في إثارة الفرقة بين المسلمين، وزرعوا عناصر من المنتسبين للإسلام، في داخل الصف، وهم سلاح للعدو الخارجي، ينفذون أوامره، ويحققون أهدافه؛ وذلك بإنشاء بعض الفرق، التي اغتر بها كثير من دهماء المسلمين، وانتسبوا إليها، فكانوا بانتسابهم لها مجندين في خدمتهم، محققين لأطماعهم، وهم لا يشعرون.

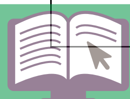
أما عداوة الكفار الأصليين من اليهود والنصارى والمشركين وغيرهم فهذه لا تحتاج إلى دليل وقد بيّن الله تعالى ذلك بيانًا صريحًا فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ كَانُوا۟ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٠١].

أما العدو الداخلي الذي لا يقلّ خطره عن العدو الخارجي، وهم إخوانه ـ بنص القرآن الكريم ـ الذين ينفذون مخططاته ويحققون مطامعه، وإن كانوا تظاهروا بالدخول في الإسلام من الذين يقولون: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ٨- ٩]. فهم المنافقون، وكيدهم للإسلام وأهله مستمر حتى عصرنا الحاضر، حين ظهروا بمسميات جديدة كالعلمانية والليبرالية والتنويرية والحداثة وغيرها من التسميات.

وسلاحهم الأول في حرب الدين وأهله؛ هو إثارة الفتن والقلاقل بين المسلمين، قال الله تعالى: ﴿لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ۚ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [التوبة: ٤٧- ٤٩].

ومن هذه الدسائس الخَطِرة في المجتمع المسلم الفرق الضالة ومن أخطرها:

١ ـ **الرافضة**: وهم البذرة الفاسدة التي زرعتها اليهود على يد عبد الله بن سبأ اليهودي، في داخل الصف المسلم، وهم وراء أغلب الفتن التي وقعت على المسلمين والحروب الطاحنة بينهم، وكانوا المحرض الأول لآل البيت على الخروج على ولاة عصرهم بالسيف، ثم يخذلونهم في كل مرة، وعلى أكتافهم ظهرت القرامطة والباطنية، وبمعونتهم غزا التتار والصليبيون بلاد المسلمين، وما زال هذا دَيْدَنهم إلى اليوم في مواقفهم وتعاونهم مع أعداء المسلمين ـ الصليبيين واليهود ـ في العراق وأفغانستان، وسائر الفتن في بلاد المسلمين. ومن آخرها إثارة الفتن في الحج وبلاد الحرمين الشريفين والخليج واليمن ولبنان وغيرها من أقطار المسلمين.



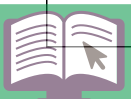


٢ ـ الخوارج: وهم الذين خرجوا على المسلمين وإمامهم الخليفة الراشد علي بن أبي طالب ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ فكفروه وقاتلوه حتى قتلوه شهيدًا ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ، ثم كانت حروبهم وفتنتهم طيلة تاريخ المسلمين حتى كان من أواخرهم أو ممن تأثر بأفكارهم وتشبَّه بهم في بعض الجوانب من أهل الغلو في عصرنا الحديث ممن يرى الخروج على الولاة بغير مسوّغ شرعي وتكفير العلماء وسائر المسلمين، وما حصل من بعضهم من تفجير وتدمير وقتل في بلاد المسلمين ليس بخافٍ.

٣ ـ سائر أهل الأهواء والبدع من القدرية والجهمية وغلاة الصوفية وغيرهم الذين يفتنون الناس في دينهم ويصدونهم عن سبيل الله، ويزينون لهم الباطل ويكرِّهون إليهم الحق، ويحولون بينهم وبين دين الله الحق بما يظهرون من الشبه وزخرف القول، إضافة إلى مواقفهم السلبية من الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونشر السنة، والعمل بها، والدعوة إليها.

٤ ـ الغوغائية والغثائية من الرَّعَاع، وغيرهم من الدهماء الذين هم مادة الفتن ووقودها الذين يستخفّهم المجرمون، ويستغلون جهلهم بالدين وعصبيتهم، وقلة عقولهم وجفائهم، ونفرتهم من أهل العلم والعقل والفضل، وحدّة طباعهم وغلظتهم، وأكثر الخوارج من هذا الصنف.

وعلى كل فأغلب من ذكر آنفًا يجمعهم على اختلاف أسمائهم واتجاهاتهم وصمة الجهل في عوامهم والنفاق في رؤوسهم، اللذان هما مادة الفتن ومموِّلها ومشعل نارها.



الفَصْلُ الثَّالِث

المخـــــــرج من الفتن عند وقوعها

* **المبحث الأول: العودة الصادقة إلى الله تعالى**؛ بتحقيق التوحيد الخالص، والاستجابة التامة لأمر الله تعالى وأمر رسوله ﷺ، والتوبة النصوح من جميع الذنوب؛ لأنها سبب الفتن ـ كما تقدم ـ، واللجوء إليه تعالى وحده وحُسن التوكل عليه، وتعليق القلوب به وحده دون سواه، والتضرع والانكسار بين يديه، والإلحاح في الدعاء هو سبيل النجاة، قال الله تعالى: ﴿ **فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ** ﴾ [الأنعام: ٤٣]، أي: «فهلا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا، فحقهم عند مجيء البأس التضرع». وروي عن النبي ﷺ من حديث أبي واقد الليثي ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أن النبي ﷺ قال: «**إنها ستكون فتنة**» فقالوا: فكيف لنا يا رسول الله؟ وكيف نصنع؟ قال: «**ترجعون إلى أمركم الأول**»الطبراني.

* **المبحث الثاني: الإكثار من العبادة والعمل الصالح:**

ومع التوبة والاستغفار، والتحلل من الذنوب والخطايا، ورد المظالم واستيفاء الحقوق، فإن على المؤمن مع ذلك الإكثار من نوافل الطاعات والقربات بعد الفرائض والواجبات. فإنه في آخر الزمان وفي عصر الفتن يقلّ العمل.

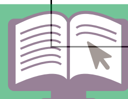
والأصل في ذلك حديث: معقل بن يسار، عن النبي ﷺ قال: «**العبادة في الهَرْج كهجرة إلي**»مسلم.

وفي الفتن يحتاج المؤمن إلى هذا الزاد الإيماني؛ ليحصل له الثبات والبصيرة.

وارتباط الأمر التعبدي بنزول الفتن ثابت في التوجيه النبوي، فهذا رسول الله ﷺ يستيقظ فزعًا من الليل فيقول: «**سبحان الله! ماذا أنزل الله من الخزائن! وماذا أنزل من الفتن! من يوقظ صواحب الحجرات** ـ يريد أزواجه لكي يصلين ـ **رُبَّ كاسية في الدنيا، عارية في الآخرة**»البخاري.

قال الحافظ ابن حجر ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ: «وفي الحديث: استحباب الإسراع إلى الصلاة عند خشية الشر.

وكان هذا ديدنه ﷺ: فليلة بدر، وما أدراك ما ليلة بدر! نام الصحابة رضوان الله تعالى عليهم «إلا رسول الله ﷺ تحت شجرة يصلي، ويبكي حتى أصبح»مسند أحمد.



والتاريخ حافل بالصور المشرقة، لتحقيق هذا المبدأ العظيم، فهذا قتيبة بن مسلم الباهلي القائد المظفر، يسأل عن محمد بن واسع ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ يوم قتال الترك، فقيل له«هو ذاك في الميمنة جَانِحٍ على سِيَةِ قوسه، يُنَضْنِضُ بأُصْبُعِهِ نحو السماء، فقال قتيبة: تلك الأُصبع الفاردة، أحب إليَّ من مائة ألف سيف شهير، وسنان طَرِير، فلما فتح الله عليهم قال لمحمد: ماذا كنت تصنع؟ قال: كنت آخذ لك بمجامع الطرق

فالدعاء من أقوى الأسلحة المؤثرة، إذا خرج من قلب مؤمن بوعدالله تعالى صادق في لجوئه إلى ربه تعالى. وقد قال ﷺ:«**إنما ينصر الله هذه الأمة بضعيفها؛ بدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم**»النسائي.

*** المبحث الثالث: لزوم جماعة المسلمين وإمامهم:**

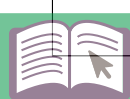
كما قال تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ ﴾ [آل عمران: ١٠٣]. والأصل في ذلك: حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ فقيه الفتن ـ قال: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر؛ مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله، كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: «**نعم**». قلت: وهل بعد هذا الشر من خير؟ قال: «**نعم، وفيه دخن** ». قلت: وما دخنه؟ قال: «**قوم يهتدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر** ». قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: «**نعم، دعاة إلى أبواب جهنم، من أجابهم قذفوه فيها**»، قلت: يا رسول الله، صفهم لنا؟ قال: «**هم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا**». قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: «**تلزم جماعة المسلمين وإمامهم**».

أما في حال عدم وجود جماعة للمسلمين ولا إمام فعليه باعتزال تلك الفرق كلها، والاهتمام بخاصة نفسه، ومَن يمكنه من إخوانه المسلمين تعليمًا ودعوة ولو سرًّا.

ومن التطبيق العملي للزوم الجماعة والإمام، وإن خالف في بعض ما يراه المرء خطأ: ما حصل من عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، في منى بعد أن أتمَّ عثمان الصلاة، فقال عبد الله بن مسعود: كان رسول الله ﷺ يصلي في منى ركعتين، فقيل له: تقول هذا وأنت تصلي مع عثمان أربعًا، قال: يا هذا، الخلاف شر أبوداود.

ولذلك فإن فعل المفضول لمصلحة شرعية راجحة أولى من فعل الفاضل.

ومع هذا فالجماعة ليست دائمًا هي الكثرة، ولكن من كان على قول الجماعة قبل أن تختلف وهو قول أهل السنة والجماعة.



قال أبو شامة: «وحيث جاء الأمر بلزوم الجماعة فالمراد لزوم الحق واتباعه، وإن كان المتمسك بالحق قليلًا، والمخالف كثيرًا».

ومع تأكيد أهل السنة والجماعة، وسلفهم الصالح، على مبدأ السمع والطاعة لولاة أمر المسلمين في غير معصية، وعدم جواز الخروج عليهم بالسيف وإن جاروا؛ إلا أن هذا لا يعني إقرارهم المنكر، ولا مداهنتهم الظلمة، ولا السكوت عن قولة الحق، ولا التخاذل عن الإصلاح الحقيقي، ولا ترك النصح لهم وإن كرهوه، بل ذلك لا يمنع من ذلك كله، إذا كان بالوسائل الشرعية المعروفة، ولذا جاء في حديث عبادة بن الصامت ـ المشهور، والمتقدم الصريح في السمع والطاعة، في العسر واليسر، والمنشط والمكره، وعلى الأثرة، جاء في آخره ـ: «**وعلى أن نقول الحق أينما كنا، لا نخشى في الله لومة لائم**»[البخاري ومسلم].

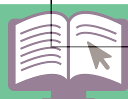
هذا وقد جاء الجمع بين النصح لولي أمر المسلمين مع لزوم جماعتهم مشعرًا بأن هذا النصح يجب ألا يترتب عليه ما يؤدي إلى مفارقة الجماعة أو تفريق جماعتهم، فقال ﷺ: «**ثلاث لا يغل عليهن قلب امرئ مسلم: إخلاص العمل لله، والنصح لأئمة المسلمين، ولزوم جماعتهم**»[ابن ماجه].

والمعنى أن هذه الخلال الثلاث تستصلح بها القلوب، فمن تمسك بها طهر قلبه من الخيانة والدغل والشر.

وجاء في حديث أبي هريرة: «**إن الله يرضى لكم ثلاثًا: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم**»[مسلم].

* **المبحث الرابع: الالتفاف حول العلماء الراسخين والهداة الناصحين** بالاستماع إليهم والاهتداء بآرائهم، فإنهم أقدر الناس على بيان المشتبهات، والرد على الشبهات، وهم الأقدر على تقدير المصالح والمفاسد؛ أي المصلحتين أرجح وأي المفسدتين أعظم، كما أنهم أكثر الناس بصرًا بالأمور، جعل الله لهم فرقانًا يُفَرِّقون به بين الحق والباطل، والهدى والضلال. وقد أمرنا الله تبارك وتعالى بسؤالهم واستفتائهم فيما أشكل علينا، قال الله تعالى: ﴿فَسَـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

فالرجوع إلى العلماء عصمةٌ للأمة من الضلال، وسبيلٌ من سُبل الوقاية من الفتن والزيغ والانحراف، كما أن في هذا دليلًا لقاعدة أدبية، وهي: «أنه إذا حصل بحث في أمر من الأمور ينبغي أن يولى مَن هو أهل لذلك، ويجعل إلى أهله، ولا يتقدم بين أيديهم، فإنه أقرب للصواب وأحرى للسلامة من الخطأ».



وتقدم معنا أن من أسباب الفتن فشو الجهل ونقص العلم.

واجب العلماء عند حلول الفتن:

يجب على العلماء قيادة الأمة، والتَّصَدر لبيان الحق والحثَّ عليه، والتحذير من الباطل وكفّ الناس عنه، فهم ورثة النبي ﷺ وخلفاؤه في أمته، وما من نبي إلا كان حقًا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شر ما يعلمه لهم، والله سائلهم عما استرعاهم، وعن الميثاق الذي واثقهم به، كما عليهم ألا يتركوا الصدارة لأصحاب المواقف المتعجِّلة غير المدروسة، أو للرويبضة والمنافقين الذين يُضلّون الناس بغير علم، ويُلَبِّسون على الناس دينهم الحق.

ومما يدل على ضرورة الرجوع إلى أهل العلم الراسخين: ما يحصل في الفتنة من اضطراب واختلاف، حتى إن الحليم ليصير حيران، وحتى تزيغ قلوب فريق من الناس وتذهب عقولهم.

قال حذيفة ـ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ـ: «ما الخمرُ صِرْفًا بأذهب لعقول الرجال من الفتن».

وقال رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «تكون فتنة تعرج فيها عقول الرجال، حتى ما تكاد ترى رجلًا عاقلًا». ثم يبين ـ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ـ متى لا تضرك الفتنة؟ فقال: «ما عرفت دينك، إنما الفتنة إذا اشتبه عليك الحق والباطل».

وهذا يقتضي الرجوع إلى أهل العلم الراسخ لمعرفة الدين وتبين الحق من الباطل.

تعريف بالعلماء الربانيين:

وهنا قد يتساءل بعض الناس عن العلماء الربانيين مَن هم؟ وما هي أبرز وأهم خصالهم وصفاتهم؟

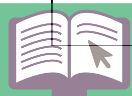
حاصل كلام العلماء في معنى (رباني) يرجع إلى أحد المعاني التالية:

الأول: أن الرباني: نسبة إلى الرّبّ. ومعناه: العالم بدين ربّه وشرعه وأحكامه؛ العامل بها علم، قال ابن عباس ـ كما في البخاري ـ: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾ قال: «حلماء، فقهاء، علماء»[البخاري].

الثاني: أن الرباني نسبة إلى الرّبّ أيضًا، لكن معناه العارف لربه العالم به، المواظب على طاعته وعبادته.. فالربانيون: المتألِّهون العارفون بالله تعالى.

والثالث: الرباني: نسبة إلى التربية. فالرباني منسوب إلى الرَّبَّان، وهو الذي يربّ الناس، من قولهم: يربّه إذا دبّره وأصلحه، أي يصلح أمورهم ويقوم بها ولذلك قالوا:«الرباني الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره» يعني من التربية.

فالذي يظهر ـ والعلم عند الله ـ أن معنى: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾ يشمل هذه المعاني الثلاثة



ويجمعها.

أما سمات وخصال العلماء الربانيين الراسخين الذين يُنصح بالرجوع إليهم، فهذه نجملها فيما يلي:

١ ـ سلامة المعتقد والتزام السنة، واستقامة السيرة والسلوك.

ومن أبرز علامات حُسن المعتقد: الغَيْرة على السنة، وبُغض أهل البدع وذمهم، والتحذير منهم، وعدم المداهنة في دين الله تعالى.

كما أن من أبرز علاماته: الإخلاص لله تعالى وابتغاء مرضاته.

٢ ـ الرسوخ في العلم والتضلع فيه؛ بحيث يكون عالمًا (ربانيًا) وهو الرفيع الدرجة فيه، العالي المنزلة فيه، وعلى ذلك حملوا قوله تعالى: ﴿لَوۡلَا يَنۡهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ﴾ [المائدة: ٦٣].

٣ ـ العمل بالعلم، فمن زَيَّن علمه بالعمل فهو رباني.

٤ ـ ملازمة الورع والتقوى والخشية، فمن كان بالله أعرف كان له أخشى، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ﴾ [فاطر: ٢٨].

٥ ـ بيان الحق وعدم كتمانه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فالعالم الرباني عالم محتسب، لا يخشى في الله لومة لائم، فلا يداهن ولا يحابي؛ لأنه من ورثة الأنبياء الذين قال الله فيهم: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا﴾ [الأحزاب: ٣٩].

٦ ـ مجانبة الفتن ومواطن الشُبه: العالم الرباني هو محط أنظار الناس لما له من المكانة في قلوب الناس، وحرصهم على الاقتداء به والاهتداء بهديه، ولكنه مثل المرآة الصافية التي يؤثر فيها أدنى قذى، ويشوِّش على الناظر فيها ويمنع عنه كمال الانتفاع بها. فيجب أن يكون حريصًا على هذا الصفاء، بعيدًا عن مواطن الفتنة والشبهة.

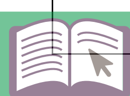
وهذا التحرز له مأخذان:

الأول: حفظ نفسه من الميل للدنيا وأصحابها والتساهل في رؤية المنكر والسكوت عن إنكاره بما لا يليق بعزة العلم وأنفة الإيمان.

الثاني: حفظ عرضه، وصون جنابه، وحماية العلم من الامتهان.

ومن التطبيق العملي لهذه المسألة نذكر بعض الحوادث:

١ ـ موقف أبي بكر رضي الله من أهل لردة، قال علي ابن المديني: «أعز الله الدين برجلين، ليس لهما



ثالث. أبو بكر الصدِّيق يوم الردة، وأحمد بن حنبل يوم المحنة». والشاهد من ذلك أن العلماء الربانيين وقفوا موقفًا ثابتًا في هذه الفتن العصيبة، فالتف الناس حولهم، واطَّرحوا ما كانوا يرونه من اجتهادات، فتبين أن الحق الذي لا مرية فيه مع هؤلاء الأئمة الأعلام.

٢ ـ موقف ابن مسعود رضي الله عنه حين قال للمبتدعة من أهل الحلق: ويْحَكم يا أمة محمد ما أسرع هَلَكَتِكُم، هؤلاء صحابة نبيكم متوافرون، وهذه ثيابه لم تَبْل وآنيته لم تكسر، والذي نفسي بيده إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد، أو مفتتحو باب ضلالة، قالوا: يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير، قال: وكم من مريد للخير لم يصبه، إن رسول الله ﷺ حدثنا ـ فذكر حديثًا لعله حديث الخوارج ـ فقال عمرو بن سَلِمة: فرأينا عامة أولئك الحِلَق يطاعنوننا يوم النَهْرَوَان مع الخوارج

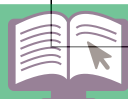
فهذا دليل على أن التساهل في لزوم السنة، مدعاة للولوج في الفتنة.

٣ ـ وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: حدثني أبو معمر القطيعي قال: لما حضرنا إلى دار السلطان أيام المحنة وكان أحمد بن حنبل قد أُحْضر، فلما رأى الناس يجيؤن ـ وفي رواية «يجيبون» ـ وكان رجلًا لينًا، فانتفخت أوداجه واحمرت عيناه، وذهب ذلك اللين الذي كان فيه، فقلت: إنه قد غضب لله!... فقلت له: أبشر... كان من أصحاب رسول الله ﷺ من إذا أريد على شيء من دينه رأيت حماليق عينيه في رأسه تدور كأنه مجنون».

فكان اعتصام أحمد رضي الله عنه بالسنة، وعدم تساهله فيها، سببًا لثباته، وثبات الأمة من بعده، ولذلك سمي ـ بحق ـ إمام أهل السنة.

٤ ـ وذكر ابن القيم مقام شيخ الإسلام في التثبيت عند الفتن، فقال: «وكنا إذا اشتد بنا الخوف، وساءت منا الظنون، وضاقت بنا الأرض، أتيناه فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه، فيذهب ذلك كله عنا».

وهنا يجب التنبيه إلى الحذر من أخذ العلم والفتاوى من الجهات المشبوهة غير الموثوقة، كما يحذر الأخذ بفتاوى بعض طلبة العلم مِمَّن قد يقرأ شيئًا وتفوته أشياء فيقول فيها برأيه، وقد يطبق نصوصًا ولكن في غير موضعها، فيكون بذلك فتنة له ولمن أفتاه بغير علم، بخلاف الراسخ في العلم الذي عنده تجربة ومعرفة بعواقب الأمور، ومآلات الأحكام ومقاصدها، من العلماء المعروفين بالرسوخ في العلم والورع المبعد عن المداهنة والهوى كما تقدم، ولذا جاء من حديث أبي أمية الجمحي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**من أشراط الساعة أن يلتمس العلم عند الأصاغر**»[الطبراني]. قيل لابن المبارك: مَن



الأصاغر؟ قال: الذين يقولون برأيهم، فأما صغير يروي عن كبير فليس بصغير.

كما يجب الحذر من زلة العالم وزيغة الحكيم، فعن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: أحذركم زيغة الحكيم، فإن الشيطان قد يقول الضلالة على لسان الحكيم، وقد يقول المنافق كلمة الحق). قيل لمعاذ: وما ندري ـ رحمك الله ـ أن الحكيم قد يقول كلمة الضلالة، وأن المنافق قد يقول كلمة الحق؟ قال: اجتنبوا من الحكيم المشتهرات. وفي رواية: المشتبهات، التي يقول: ما هذه؟ وفي رواية: ما تشابه عليك من قول الحكيم، حتى تقول: ماذا أراد بهذه الكلمة.

فعلى المسلم اجتناب الشاذ من أقوال أهل العلم مهما بلغ علمهم وعليه أن يتبع المشهور الذي عليه جماعتهم.

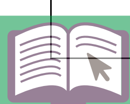
وفي حال الاختلاف زمن الفتن على الإنسان أن يأخذ ما يعرف ويدع ما ينكر، كما قال تعالى: ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

والغرض من التحذير من زيغة العالم وزلَّتِه هو عدم اتباعه في هذه الزلّة أو الاحتجاج بها، إذ الحجة في قول الله وقول رسوله ﷺ، وإليهما ترد موارد النزاع، ولا يكون ذلك سببًا في الطعن فيه، أو النيل من عرضه، فإن هذا لا يجوز، ولكن تلتمس له المعاذير في تلك الزلّة ولا يتابع على خطئه، وكل يؤخذ من قوله ويرد إلّا رسول الله ﷺ. فالحذر من الطعن في العلماء والتنقص من قدرهم وإن أخطؤوا، فهم العصمة للأمة بفضل الله تعالى، وهم سفينة النجاة مَن تخلف عنها غرق في أوحال الشبهات والفتن.

وليس من القدح في العلماء التنبيه على أخطائهم، وعدم اتباعهم عليها فهذا من النصيحة لهم، ولعامة المسلمين، كما قال ﷺ: «**الدين النصيحة**» قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: «**لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**»[مسلم]. أما الوقيعة في العلماء واستنقاصهم وتتبع عوراتهم فإن هذا باب هلكة وسبيل ضلال، وقد قال الحافظ ابن عساكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «إن لحوم العلماء ـ رحمة الله عليهم ـ مسمومة، وعادة الله في هتك أستار منتقصيهم معلومة.

ولذلك قال ﷺ: «**يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان في قلبه، لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من يتبع عوراتهم يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته**»[أبو داود].

وهذا الوعيد في عموم المسلمين، أما العلماء والصالحون فالوقوع بهم أقبح، وهو علامة على النفاق ومعاداة الله ومحاربته؛ لأن الله تعالى قال: «**من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب...**»[البخاري].



قال بعض السلف ـ ونسب لأبي حنيفة والشافعي ـ: «إن لم تكن العلماء أولياء الله فليس لله ولي».

ونظرًا لأهمية دور العلماء في وأد الفتنة فقد قام دعاة الفتنة المغرضين بالتفنن في الوسائل المؤدية إلى إسقاط هيبة العلماء، ومن ثم إسقاط مرجعيتهم وفقد الثقة بهم حتى يزهد الناس فيهم، فلا يتلقون منهم ولا يقبلون بهم؛ بدعاوى كثيرة منها: أنهم لا يفهمون الواقع، أو اتهامهم بالجمود والرجعية والتخلّف، أو اتهامهم بأنهم علماء سوء وسلطة ومداهنة. أو أنهم واقعون تحت ضغوط الواقع، أو غير ذلك من الدعاوى حتى ينجفل الناس عنهم، ويتعلّقون بغيرهم من الأدعياء والمغرضين.

كما يجب على العلماء وطلبة العلم ألا يكونوا فتنة للذين آمنوا، وذلك بتقصيرهم في هذا الواجب، والميثاق الذي أخذه الله عليهم: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٨٧] أو بالتخلي عن رسالتهم ودورهم القيادي للأمة بنور من كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ، ولا شك أن هذه من أعظم أسباب الفتن، نسأل الله العافية والسلامة. قال ابن الوزير رضي الله عنه: «لو أن العلماء رضي الله عنهم تركوا الذّبّ عن الحق خوفًا من كلام الخلق لكانوا قد أضاعوا كثيرًا، وخافوا حقيرًا».

حاجة الأمة إلى العلماء الربانيين:

وعلى كل فوجود العلماء الربانيين والرجوع إليهم من الضرورات الملحّة التي لا تستغني عنها الأمة، ويظهر ذلك من خلال:

١ – بقاء العلم حيًّا، يتلقاه الناس عنهم ويتدارسونه معهم.

٢ – ضرورة وجود القدوة لغيره من طلبة العلم والعلماء.

٣ – حماية الدين وحراسته بالذبّ عنه من خلال رد شبهات المشككين والطاعنين.

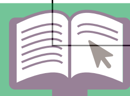
٤ – الرجوع إليهم في الاستفتاء.

٥ – الرجوع إليهم عند التنازع والاختلاف سواء كان بين العلماء أو طلبة العلم، أو مع الولاة والحكام أو بين عموم الناس.

٦ – كما أن وجودهم ضرورة للمجتمع والأمة من أجل الاجتهاد الشرعي في النوازل المستجدة.

*** المبحث الخامس: لزوم التَّأَنِي والتُّؤَدَة والثَّبَات:**

يجب على المسلم في مثل هذه الفتن والأمور المضطربة أن يلزم التأني والحِلْم والرِّفق وعدم التعجل،
=



ومفارقة الطيش والتهوُّر، وضرورة التثبت والتبصر في الأمور، قال الله تعالى﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الروم:٦٠].

وقد رُوي: «إن الله يحب البصر النافذ عند ورود الشبهات، ويحب العقل الكامل عند ورود الشهوات» البيهقي.

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ ﴾ [النساء: ٨٣]، قال ابن كثير: «في هذه الآية إنكار على من يبادر إلى الأمور قبل تحققها؛ فيخبر بها ويفشيها وينشرها، وقد لا يكون لها صحة».

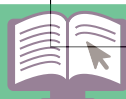
ولذا كان من دعائه ﷺ المأثور: «**اللهم إني أسألك الثبات في الأمر، والعزيمة على الرشد...**» المسند.

وقد امتدح النبي ﷺ أشج عبد القيس بقوله: «**إن فيك خصلتين يحبهما الله ورسوله: الحلم والأناة**» مسلم.

وقال ﷺ: «**ما كان الرفق في شيء إلا زانه، وما نزع من شيء إلا شانه**» مسلم. وقال ﷺ: «**إن الله يحب الرفق في الأمر كله**» البخاري ومسلم.

كما امتدح عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الروم لما ذكر له حديث النبي ﷺ: «**تقوم الساعة والروم أكثر الناس**» قال: «**إن فيهم لخصالًا أربعًا؛ إنهم لأحلم الناس عند فتنة، وأسرعهم إفاقة بعد مصيبة..**» وذكر الحديث مسلم.

ومن الأمثلة العملية للنظر في عواقب الأمور: ما كان من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لما جاءه رجل في آخر حجة حجها وهو في منى فقال له: يا أمير المؤمنين هل لك في فلان يقول: لو قد مات عمر لقد بايعت فلانًا؟ فوالله ما كانت بيعة أبي بكر إلا فلتة فَتَمَّتْ، فغضب عمر، ثم قال: إني ـ إن شاء الله ـ لقائم العشية في الناس فمحذرهم هؤلاء الذين يريدون أن يغصبوهم أمورهم. فقال عبد الرحمن ـ يعني ابن عوف ـ فإنهم هم الذين يغلبون على قربك حين تقوم في الناس، وأنا أخشى أن تقوم فتقول مقالة يُطِيرُها عنك كل مُطِير، وأن لا يَعُوها، وأن لا يضعوها على مواضعها، فأمهل حتى تقدم المدينة، فإنها دار الهجرة والسنة، فتخلص بأهل الفقه وأشراف الناس فتقول ما قلت متمكنًا، فيعي أهل العلم مقالتك، ويضعوها على مواضعها، فقال عمر: «والله ـ إن شاء الله ـ لأقومَنَّ بذلك أول مقام أقومه بالمدينة...» البخاري.





ومن الآثار الواردة في هذا الموضوع على وجه الخصوص ما ورد عن سفيان الثوري لما سأله حفص بن غياث قال: يا أبا عبد الله؛ إن الناس قد أكثروا في المهدي فما تقول فيه؟ قال: «إن مرّ على بابك فلا تك في شيء منه حتى يجتمع الناس عليه».

والعجلة في ابتداء الفتن والخوض فيها من بداياتها: هي أمّ الندامات، ولذا قال قتادة بن دعامة رضي الله عنهما: «قد رأينا ـ والله ـ أقوامًا يسرعون إلى الفتنة، وينزعون فيها، وأمسك أقوام عن ذلك هيبة لله ومخافة منه، فلما انكشفت إذ الذين أمسكوا أطيب نفسًا، وأثلج صدرًا، وأخف ظهورًا من الذين أسرعوا إليها...».

*** المبحث السادس: لزوم الصبر والمصابرة:**

والفتن من حِكَم وقوعها اختبار الصبر والثبات، قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾ [الفرقان: ٢٠].

وقال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الروم: ٦٠].

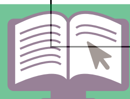
وقال الله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل: ١١٠].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

فهذه أربعة أسباب موجبة لموعود الله تعالى بالفلاح، لمن أتى بهن؛ وهن: الصبر والمصابرة، والمرابطة والتقوى، فإذا حققها العبد تحقق له موعود الله بالفلاح.

وقال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥ - ١٧٥].

وقال ﷺ: «**إن من ورائكم أيامًا، الصبر فيهن مثل القبض على الجمر، للعامل فيهن أجر خمسين يعملون مثل عملكم**» قالوا: يا رسول الله أجر خمسين رجلاً منّا أو منهم؟ قال: «**لا، بل أجر خمسين رجلاً منكم**»[ابن ماجة].



فأعظم سلاح في أيام الفتن والمحن هو الصبر: فهو تربية للنفوس وإعدادها لكي لا تطير شعاعًا عند كل نازلة، ولا تذهب مع كل فاجعة، ولا تنهار جزعًا عند كل شدة.

فبالصبر يظهر الفرق بين ذوي العزائم والهمم وبين ذوي الجبن والضعف، ولذلك وَعَى السلف الصالح أهمية الصبر عند وقوع الفتن والحوادث وإليك نماذج من سيرهم:

لما كان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يعذَّبون ويُفْتَنون في صدر الإسلام بمكة كان يمر بهم النبي ﷺ ويُذَكِّرهم بالصبر، ومنهم آل ياسر، فإذا مر بهم قال: «**صبرًا آل ياسر، موعدكم الجنة**»[المستدرك].

وعن الزبير بن عدي قال: دخلنا على أنس بن مالك، فشكونا إليه ما نلقى من الحجاج، فقال: «اصبروا، لا يأتي عليكم زمان إلا والذي بعده شرّ منه، حتى تلقوا ربكم، سمعت هذا من نبيكم»[البخاري].

وعن معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «إنه لم يبق من الدنيا إلا بلاء وفتن، فأعدوا للبلاء صبرًا».

ولهذا فإنه «ليس لمن قد فُتن بفتنةٍ دواءٌ مثل الصبر، فإن صبر كانت الفتنة ممحصة له ومخلِّصة من الذنوب، كما يخلِّص الكيرُ خبثَ الذهب والفضة».

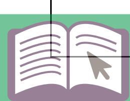
«فمن صبر عليها كانت رحمة في حقه، ونجا بصبره من فتنة أعظم منها، ومن لم يصبر عليها وقع في فتنة أشد منها».

وجماع ذلك أنه لابد له في الأمر من أصلين: ولابد له في القدر من أصلين: «ففي الأمر عليه الاجتهاد في الامتثال علمًا وعملًا، فلا تزال تجتهد في العلم بما أمر الله به، والعمل بذلك. ثم عليه أن يستغفر ويتوب من تفريطه في المأمور وتعديه الحدود...

وأما في القدر فعليه أن يستعين الله في فعل ما أمر به، ويتوكل عليه ويدعوه، ويرغب إليه ويستعيذ به، ويكون مفتقرًا إليه في طلب الخير وترك الشر. وعليه أن يصبر على المقدور، ويعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وإذا آذاه الناس علم أن ذلك مقدر عليه».

وفي الحديث المشهور الذي رواه أبو بكر عن النبي ﷺ أنه قال: «**سلوا الله العافية؛ فما أعطي أحد بعد اليقين شيئًا خيرًا من العافية**»[المسند].

*** المبحث السابع: كَفُّ اليد واللسان، وملازمة البيت عند ورود المقتضى:**



كما ورد في حديث ابن مسعود: أن النبي ﷺ عندما ذكر الفتن قال: «**تلك أيام الهرج حيث لا يأمن الرجل جليسه**» قلت: فما تأمرني يا رسول الله إن أدركني ذلك الزمان؟ قال: «**تكف لسانك ويدَك، وتكن حِلْسًا من أحلاس بيتك**»أبو داود.

وروي عن عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ قال: «**تكون فتنة تستنظف العرب، قتلاها في النار، اللسان فيها أشد من وقع السيف**»المسند.

قال القرطبي: «إما بالكذب عند أئمة الجور، وإما نقل الأخبار إليهم».

*** المبحث الثامن: التثبت في نقل الأخبار، وعدم الالتفات إلى الشائعات:**

ومثل هذه يكثر رواجها في زمن الفتن، وفي عصرنا تهيأت الوسائل لإشاعتها فتطير في لحظات، وتبلغ الآفاق عن طريق وسائل الاتصال الحديثة.

وقد أمر الله تبارك وتعالى بالتثبت من الأنباء في الأيام العادية، فكيف بأيام الفتن! فالتثبت أحوج ما يكون إليه المسلم، قال الله تعالى: ﴿ **يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَـٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ** ﴾ [الحجرات: ٦].

وليعلم أن سيما أهل الإيمان قول الخير أو الصمت، كما قال ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت**»البخاري ومسلم. و«**من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه**»الموطأ.

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «قل خيرًا تغنم، واسكت عن شرّ تسلم، من قبل أن تندم»الطبراني.

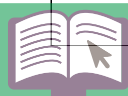
أما من تُنقل إليه الإشاعة فالواجب عليه بعد التثبت من مصدرها أن يستشير أهل العلم والفضل قبل ترويجها والتحدث بها، فقد تكون المصلحة في عدم إشاعتها ولو كانت صحيحة، ولهذا قال الله تعالى: ﴿ **وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٞ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَـٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا** ﴾ [النساء: ٨٣].

ومن أبرز الأخطار والمضار المترتبة على مثل هذه الإشاعات:

١ ـ اتهام البريء بما ليس فيه.

٢ ـ إثارة الذعر والخوف في أوساط المؤمنين.

ولعل خير علاج للإشاعات عند نقلها هو اطِّراحها، وعدم الاكتراث بها، ولذلك قال الإمام





مسلم في مقدمة صحيحه: «إذ الإعراض عن القول المطرح أحرى لإماتته وإخماد ذكر قائله وأجدر ألا يكون ذلك تنبيهًا للجهال عليه».

*** المبحث التاسع: مجانبة الفتن والاحتراز من أسبابها والفرار منها واعتزالها:**

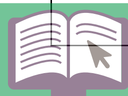
وقد أمر النبي ﷺ بالفرار من الفتن، وحث على التَعرُّب إذا لم يكن المؤمن قادرًا على إطفائها، أو التخفيف من لأوائها، وخشي على نفسه، فقال ﷺ: «**يوشك أن يكون خير مال المسلم غنمٌ يتبع بها شَعَف الجبال ومواقع القطر، يفر بدينه من الفتن**»[البخاري]. وبوّب عليه البخاري: باب: التعرّب في الفتنة.

وقال ﷺ في حديث أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**إنها ستكون فتن، ألا ثم تكون فتنة، القاعد فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي إليها، ألا فإذا نزلت أو وقعت، فمن كانت له إبل فليلحق بإبله، ومن كانت له غنم فليلحق بغنمه، ومن كانت له أرض فليلحق بأرضه**». قالوا: يا رسول الله، أرأيت من لم يكن له إبل ولا غنم ولا أرض؟ قال: «**يعمِدُ إلى سيفه فَيَدُقّ على حَدِّه بحجر، ثم لِيَنْجُ إن استطاع النجاء، اللهم هل بلغت؟**» ـ قالها ثلاثًا ـ. قال رجل: يا رسول الله، أرأيت إن أُكْرِهْتُ حتى يُنْطَلق بي إلى أحد الصفين، أو إحدى الفئتين، فضربني رجل بسيفه، أو يجيء سهم فيقتلني؟ قال: «**يبوء بإثمه وإثمك، ويكون من أصحاب النار**»[مسلم].

وفي الأمر بالخروج من أرض الفتنة واعتزالها، ما ورد عن أبي هريرة ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قال ﷺ: «**تكون فتنة، النائم فيها خير من اليقظان، واليقظان خير من القائم، والقائم خير من الساعي، فمن وجد ملجا أو معاذًا فليستعذ**»[البخاري ومسلم].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**كيف بكم وبزمان ـ أو: يوشك أن يأتي زمان ـ يغربل الناس فيه غربلة، تبقى حثالة من الناس قد مرجت عهودهم، وخفت أماناتهم واختلفوا فكانوا هكذا**». وشبّك بين أصابعه، فقالوا: كيف بنا يا رسول الله؟ قال: «**تأخذون ما تعرفون، وتذرون ما تنكرون، وتقبلون على أمر خاصتكم، وتذرون أمر عامتكم**»[أبو داود].

بل إن هذا كان موقف جمهور الصحابة رضوان الله عليهم، فقد اعتزلوا القتال في تلك الفتنة، ولذلك قال ابن سيرين بأصح الأسانيد: «هاجت الفتنة وأصحاب رسول الله ﷺ عشرة آلاف، فما حضر فيها مئة، بل: لم يبلغوا ثلاثين».





والأصل الخلطة وعدم العزلة، لحديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قال: رسول ﷺ: «**المؤمن الذي يخالط الناس، ويصبر على أذاهم، أعظم أجرًا من الذي لا يخالطهم، ولا يصبر على أذاهم**»[المسند].

ولما يترتب على العزلة من تضييع الحقوق، وتعطيل الواجبات، وتفويت المصالح، لكن يستثنى من هذا الأصل حالات منها:

١ ـ عند فساد الزمان، بحيث يكون ضرر اختلاطه أكبر من مصلحة اعتزاله.

٢ ـ عند القتال إذا خفي الحق وتعذرت معرفة الصواب، ولذا فإن من أصول أهل السنة والجماعة لزوم الجماعة، وترك قتال الأئمة وترك القتال في الفتنة.

أما إذا ظهر له الحق، فهو مأمور بمقاتلة التي تبغي، أو المثيرة للفتنة، فعن أبي وائل قال: دخل أبو موسى وأبو مسعود على عمار، حين بعثه علي إلى الكوفة يستنفرهم، فقالا: ما رأيناك أتيت أمرًا أكره عندنا من إسراعك في هذا الأمر منذ أسلمت، فقال عمار: ما رأيت منكما منذ أسلمتما أمرًا أكره عندي من إبطائكما عن هذا الأمر، وكساهما حُلَّة، ثم راحوا إلى المسجد»[البخاري].

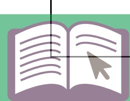
٣ ـ عندما لا يكون هناك جماعة ظاهرة ولا إمام، كما تقدم في حديث حذيفة.

* **المبحث العاشر: تحقيق مبدأ الأخوة الإسلامية الحقة والنصرة المتعينة،** ودرء الفتنة عنهم قدر المستطاع، واستصحاب الأحكام الشرعية العامة والخاصة المتعلقة بالدماء والأعراض والأموال، وتحقيق مبدإِ الولاء والبراء، والسعي إلى إغاثة المنكوبين ، وغيرها من الواجبات التي تتأكد في مثل أيام الفتن العصيبة.

بل قد جعل الله تبارك وتعالى عدم التناصر في الدين وتحقيق مبدأ الولاء والبراء ـ كما تقدم ـ سببًا للفتنة والفساد الكبير، فقال عزَّ وجلَّ:﴿إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ ﴾ [الأنفال: ٧٣].

* **المبحث الحادي عشر: الحذر من تنزيل نصوص الفتن على أحداث في الواقع وعلى أشخاص بأعيانهم بالتخرص والتخمين:**

فقد كان النبي ﷺ كثيرًا ما يحدث أصحابه عن الفتن لاتقائها والتقليل من غلوائها، وكان يستغرق هذا التحديث وقتًا طويلًا، فقد حدثهم ذات مرة من صلاة الفجر إلى المغرب، وحدثهم عما يقع من الفتن وحذّرهم منها، وأمر بالاستعاذة من بعضها في كل صلاة كما تقدم. وتناقل ذلك





الصحابة عن رسول الله ﷺ ثم التابعون وأتباعهم إلى أن جمعتها لنا دواوين السنة في كتب وأبواب، ففي صحيح البخاري كتاب الفتن ضمنه ما يقارب (١٠١) حديث وأثر، وفي مسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة (١٧٢)، وكذلك الحال في سنن أبي داود وابن ماجه وغيرهم.

وقد خصها بعض العلماء بمؤلفات خاصة، ومن أقدم ما وصل إلينا: كتاب الفتن؛ لنعيم بن حماد (ت٢٢٩هـ). والفتن؛ لأبي عمرو الداني (ت ٤٤٤هـ).

ومن المعاصرة «موسوعة أحاديث الفتن وأشراط الساعة» جمع د. همام سعيد و د. محمد رحيم. وهو كتاب مفيد جدًا.

أهل السنة والجماعة لهم ضوابط محددة ومناهج مؤصلة في التعامل مع نصوص الفتن وتنزيلها على وقائع معيّنة وموصوفة في تلك النصوص، ومن ذلك:

١- التثبت من صحة النص، وثبوته عن النبي ﷺ.

٢- فِهم دلالة النصوص ومآلاتها ومعانيها، واعتقاد أن ما أخبر به النبي ﷺ فيها حق وصدق، ولا يكون ذلك إلا بإلمام ومعرفة باللغة التي وردت بها تلك النصوص.

٣- عدم إنزال تلك الأحاديث والنصوص على وقائع محددة إلا ما قام الدليل الصحيح الصريح على ذلك.

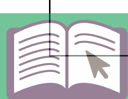
وعليه فإن من الخطأ انشغال بعض صغار المتعلمين وطلبة العلم بتنزيل هذه الأحاديث على بعض الوقائع الحية. وهذا من التقول على الله وعلى رسوله بغير علم.

*** المبحث الثاني عشر: الثقة بنصر الله، وأن النصر والتمكين للإسلام، والتبشير بذلك:**

من الأسلحة المعنوية القوية والدروع الواقية من الفتن الثقة بأن الإسلام منصور بنصر الله تعالى ونشر ثقافة التفاؤل، وأن المستقبل لهذا الدين، ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [الفتح: ٢٨]، وأن ما يصيب المسلمين من الفتن إنما هو لحِكَمٍ يعلمها الله تعالى ومنها: الابتلاء والاختبار.

والأصل في ذلك وعد النبي ﷺ الذي لا ينطق على الهوى، إن هو إلا وحي يوحى لما قال: «**عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن؛ إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له**»مسلم.

ومما سطر في كتاب الله تعالى، وبقي قرآنًا يتلى إلى قيام الساعة بعد حادثة الإفك وآلامها قول الله



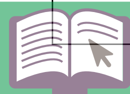


تعالى: ﴿ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [النور: ١١].

وعليه فإن العاقبة للمتقين، قال الله تعالى:﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴾ [غافر:٥١].

وقال ﷺ: « **لَا يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ قَائِمَةٌ بِأَمْرِ الله لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ الله وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ** »البخاري. وقال عليه الصلاة والسلام: «**إن مثل أمتي كالغيث، لا يدرى أوله خير أَو آخره**»الترمذي.

ولا يكون التمكين للأمة إلا بعد الابتلاء والتمحيص بالفتن، قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة: ٢٤]، فلا تنال الإمامة في الدين إلا بالصبر واليقين.



الفصل الرابع

من ثمرات الفتن والحِكَم الإلهية فيها

١ ـ تميّز الصفوف، وتبين الصادق من الكاذب:

والأصل في ذلك قوله تعالى في أول سورة العنكبوت: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ١ - ٣]. والمعنى: «أن الناس لا يُتْرَكون دون فتنة، أي ابتلاء واختبار لأجل قولهم (آمنا)، بل إذا قالوا (آمنا) فُتِنُوا: أي امتحنوا واختبروا بأنواع الابتلاء حتى يتبين بذلك الابتلاء الصادق في قوله (آمنا) من غير الصادق».

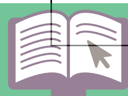
٢ ـ فضح المنافقين وكشف أستارهم:

ففي الفتن يتبين المؤمن من المنافق، فيظهر على حقيقته، وينكشف ما كان يخفيه. والتاريخ خير شاهد، فقد فضح الله المنافقين في المواقف الصعبة مع النبي ﷺ يوم أحد، وانخذال ثلث الجيش مع عبد الله بن أُبي بن سلول، وفي الأحزاب وغيرهما. وجاءت سورة التوبة وهي السورة الفاضحة لهؤلاء المندسِّين بين صفوف المسلمين، الذين لا يظهرون إلا أيام الفتن، حينها يـخْذلون المسلمين، ويفتون في عضدهم، وهم أحوج ما يكونون إلى وحدة الصف واجتماع الكلمة، قال الله تعالى: ﴿لَوۡ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمۡ إِلَّا خَبَالٗا وَلَأَوۡضَعُواْ خِلَٰلَكُمۡ يَبۡغُونَكُمُ ٱلۡفِتۡنَةَ وَفِيكُمۡ سَمَّٰعُونَ لَهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ۝٤٧ لَقَدِ ٱبۡتَغَوُاْ ٱلۡفِتۡنَةَ مِن قَبۡلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلۡأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَظَهَرَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَهُمۡ كَٰرِهُونَ﴾ [التوبة: ٤٧ - ٤٨].

٣ ـ امتحان الخلق، واختبار صبرهم، وعُبُوديتهم في السراء والضراء:

قال عز من قائل: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصۡرٞ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمۡۚ أَوَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [العنكبوت: ١٠].

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً أَتَصۡبِرُونَۗ﴾ [الفرقان: ٢٠] «وهذا عام في جميع الخلق امتحن بعضهم ببعض، فامتحن الرسل بالمرسل إليهم، ودعوتهم إلى الحق والصبر على أذاهم،



وتحمل المشاق في تبليغهم رسالات ربهم. وامتحن المرسل إليهم بالرسل، وهل يطيعونهم وينصرونهم ويصدّقونهم، أم يكفرون بهم ويردون عليهم ويقاتلونهم؟ وامتحن العلماء بالجهّال؛ هل يعلمونهم وينصحونهم، ويصبرون على تعليمهم ونصحهم وإرشادهم ولوازم ذلك؟، وامتحن الجهّال بالعلماء هل يطيعونهم ويهتدون بهم؟ وامتحن الملوك بالرعية، والرعية بالملوك، وامتحن الأغنياء بالفقراء، والفقراء بالأغنياء، وامتحن الضعفاء بالأقوياء، والأقوياء بالضعفاء، والسادة بالأتباع والأتباع بالسادة، وامتحن المالك بمملوكه، ومملوكه به، وامتحن الرجل بامرأته وامرأته به، وامتحن الرجال بالنساء، والنساء بالرجال، والمؤمنين بالكفار، والكفار بالمؤمنين، وامتحن الآمرين بالمعروف بمن يأمرونهم، وامتحن المأمورين بهم...»

٤ ـ تقوية الإيمان في قلوب المؤمنين وتثبيتهم:

مع ما في الفتن من أثر في القلوب واهتزاز واضطراب في المواقف إلا أنها تزيد في إيمان المؤمن وتزيد في ثبات قلبه، وقوة توكله، يشهد لذلك أنه لما امتحن الله المؤمنين في الأحزاب قالوا:﴿ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ وَمَا زَادَهُمۡ إِلَّآ إِيمَٰنٗا وَتَسۡلِيمٗا ﴾ [الأحزاب:٢٢].

٥ ـ تبيَن الحق للسالكين، وتُثَبِّتهم مما هم عليه.

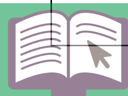
٦ ـ العظة والاعتبار:

فمن ثمرات الفتن الاعتبار بحال مَن وقعوا فيها واكتووا بنارها؛ لأن السعيد مَن وُعظ بغيره كما قال ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

٧ ـ المغفرة والرحمة والتمحيص لمن فُتن فثبت:

قال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [النحل: ١١٠].

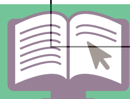
وقال تعالى: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٤٠ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمۡحَقَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٠ - ١٤١]، فمن مرادات الله من هذا الابتلاء والاختبار: تمحيص المؤمنين بتخليصهم من ذنوبهم بالتوبة والرجوع إليه، واستغفاره من الذنوب.





٨ ـ علاج مرض الطغيان والركون إلى العاجلة:

فهذه الفتن تورث انكسارًا وذلًا وافتقارًا لله تعالى قد لا يتحقق في أيام السلامة والعافية. فمن الحكم أن الله تعالى يمحص الذين آمنوا، فيخلصهم من الذنوب، فإنهم إذا انتصروا دائمًا حصل للنفوس من الطغيان وضعف الإيمان ما يوجب لها العقوبة والهوان، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًاۚ﴾ [آل عمران: ١٧٨]، وقال عز وجل: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ [العلق: ٦- ٧].



الخاتمة

بعد هذا التطواف مع هذا الموضوع المهم ظهرت لنا بعض النتائج، من أهمها:

١ - تدور معاني الفتنة على الابتلاء والاختبار، وقد تعددت استعمالات هذه اللفظة في القرآن والسنة، ويعرف معناها بحسب السياق والقرائن وما أضيفت إليه.

٢ - نظرًا لتعدد معانيها فقد تعددت أنواعها باعتبارات مختلفة، كما تعددت صورها وألوانها.

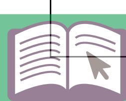
٣ - تنوعت الأساليب القرآنية والأحاديث النبوية في التحذير من الفتن على وجه العموم، وبيان كيفية التعامل معها، والتقليل من آثارها السيئة بحسب أنواعها، كما جاء التحذير من فتن خاصة بأعيانها.

٤ - الفتن أكبر ما تكون خطرًا على القلوب، وإذا فسد القلب فسد الجسد كله، وإذا فسد الفرد أدى ذلك إلى فساد الشعوب والمجتمعات.

٥ - الجامع لأسباب الفتن هو مخالفة أمر الله وأمر رسوله ﷺ، مع أن هناك من الفتن ما هو لحكمة يعلمها الله تعالى ليس للمخلوق فيها سبب.

٦ - بناء على أن أهم أسباب الفتن: هو المخالفة لأمر الله تعالى ورسوله، إما بسبب الجهل والشبهة، أو بسبب الهوى، أو بسببهما مجتمعين فإن أعظم عاصم من الفتن هو العودة الصادقة إلى الله تعالى والاعتصام بالكتاب والسنة علمًا وعملًا، وكل ما يحقق هذا المبدأ من التفقه في الدين، وإقامة شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والسعي في إزالة أسباب الفتن الحسية والمعنوية أو تقليلها، والحذر من الأعداء المتربصين في الداخل والخارج الذين لا يفتئون يبذلون جهودهم في إشعال نار الفتن بين المسلمين، واستغلالها عند اشتعالها.

٧ - إن أعظم أسباب إخماد الفتنة عند اشتعالها والتقليل من آثارها ومخاطرها، هو وحدة الصف بين جماعة المسلمين بالاشتغال بالعبادة واللجأ إلى الله تعالى، ولزوم جماعة المسلمين وإمامهم، والالتفاف حول العلماء، والصدور عن توجيهاتهم، والحذر من الفتاوى الضالة والاجتهادات الخاطئة وزلات العلماء، كما يلزم التأني والتثبت في الأخبار ونقلها، وفي اتخاذ القرارات العملية، وفي تنزيل نصوص الفتن قبل التثبت منها من حيث الثبوت ومن حيث الدلالة، مع الصبر





والمصابرة وكف اليد واللسان إلا من خير، والحرص على اعتزال الفتن ومواطن الريبة قدر الإمكان، مع الاجتهاد في التقليل من سلبيات الفتن وآثارها، وتحقيق مبدأ الأخوة الإسلامية بين المسلمين، وتوطين النفوس الشاردة بالثقة وحسن الظن بالله، وأن العاقبة للمتقين.

٨ - مع ما في الفتن من مآس وآثار سيئة على الفرد والمجتمع إلا أن الله تعالى لا يقدر شرًا محضًا، فهناك من الثمار الإيجابية والحِكم الإلهية، والمنح الربانية ما يظهر بين عواصف المحن والابتلاءات.

والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

